مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
ISSN: 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 19 عدد: 01 جوان 2023
العنوان: الفعل الإنجابي للأسرة الجزائرية في ظل... ص.ص 83- 100.

الفعل الإنجابي للأسرة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي

نور الدين سمعون،
ـ جامعة حسيبة بن بو علي_الشلف
Semaoune.noureddine@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2020/10/01؛ تاريخ القبول: 2022/08/05

The reproductive act of the Algerian family in light of social change

Abstract:

Algerian society has witnessed in the past known values that encourage childbearing and the preference of males over females,For economic, social and religious reasons, because childbearing represents a family's strength and pride,Because the male is the bearer of the family name and the custodian of its properties and a bond for his parents in old age,As for the female, she will marry and carry another name and fill another house,In addition to religion that encourages marriage and childbearing.

Through our paper, we will try to answer the following questions:

- The reasons that led to the increase in childbearing and the preference for males over females.
- The most important changes that the Algerian family has known and its effect on reproduction.

Keywords: The reproductive act،Family،Social change.

الملخص:

عرف المجتمع الجزائري في الماضي انتشار قيم تحفز على الإكثار من الإنجاب وتفضيل الذكور على الإناث لأسباب اقتصادية واجتماعية ودينية،باعتبار أن كثرة الإنجاب يمثل قوة وفخر للأسر بالإضافة إلى كون الذكر هو الحامل لاسم العائلة وحافظا لممتلكاتها وسندا لوالديه في الكبر،أما الأنثى بعد زواجها ستحمل اسما آخر، بالإضافة إلى الحث الديني الداعي للزواج والإنجاب،لكن التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري أدت إلى ظهور قيم جديدة تحبذ التقليل

من الإنجاب وعدم تفضيل الذكور على الإناث، ومن خلال ورقتنا هذه سنحاول الاجابة على الأسئلة التالية :

- الأسباب التي كانت تدفع إلى الاكثار من الانجاب وتفضيل الذكور على الإناث.
- أهم التغيرات التي عرفتها الأسرة الجزائرية وتأثير ذلك على الانجاب .

الكلمات المفتاحية: الفعل الإنجابي؛ الأسرة ؛ التغير الاجتماعي .

مقدمة:

يقوم الإنجاب في المجتمعات العربية عامة وفي المجتمع الجزائري خاصة على أرضية دينية وتقاليدية معيارية هامة تعطي مكانة اجتماعية رفيعة للمرأة المنجبة في الوسط الذي تعيش فيه سواء في أسرتها أو أسرة زوجها حيث حضور وخضوع كثيف لآليات الثقافة والمعتقدات الدينية والقيم الاجتماعية وما تفرزه من عادات وتقاليد تشجع على الإكثار من الإنجاب وتفضيل الذكور على الإناث.

لذلك يكتسي الإنجاب كظاهرة اجتماعية في المجتمع الجزائري أهمية بارزة في حياة الأسر وهي مرتبطة بشكل كبير بالعادات والقيم الاجتماعية السائدة حيث تسود هذه القيم والتقاليد والتمثلات الدينية كمحرك للفعل الإنجابي وهي مجسدة في كثير من الممارسات لدى أفراد المجتمع، لكون أن الإنجاب يُكسب الزوج مكانة اجتماعية جديدة كما يُكسب الزوجة مكانة اجتماعية جديدة وهي مكانة الأم،كما يعتبر من أسمى وظائف المرأة على وجه الأرض فكل الديانات والمجتمعات تعترف لها بذلك وتقدس هذه الوظيفة قداسة الآلهة في العصور القديمة وهو– الإنجاب- وسيلة وآلية لاستقرار الزوجة فإذا أرادت الاستقرار في زواجها والاحتفاظ بزوجها عليها بالإنجاب فهو وسيلتها الأولى في ذلك ومن ثم فإن تماسك الأسرة واستقرارها مرتبط ارتباطاً كبيراً بالإنجاب المتكرر وكلما تحقق ذلك كلما ازداد التحام الزوجين واستقرت حالتهما ،بينما إذا حصل العكس تصبح الأسرة مهددة بالزوال والتفكك ، فالمناخ الثقافي الذي كان سائداً في المجتمع الجزائري في الماضي يحفز على الإكثار من إنجاب

الأبناء خاصة الذكور لأن طبيعة الاقتصاد هي التي حددت هذه الأهمية الممنوحة للإنجاب فالأسرة كبيرة الحجم باعتبارها وحدة اقتصادية منتجة تنظر إلى الأبناء كوسيلة لزيادة موارد الأسرة ولا تنظر لهم بصفتهم عبئا على هذه الموارد فقد كان لهم دور حيوي في العملية الإنتاجية وفق معايير الاقتصاد في المجتمع التقليدي ،ولكن مع التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في السنوات الماضية شهدت الأسرة الجزائرية هي كذلك تغيرات بنائية وظيفية وتحولت الأسرة من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية ولم يعد ينظر إلى الإكثار من الإنجاب وبالتالي كثرة الأبناء بصفتهم وسيلة لزيادة موارد الأسرة ،بل أصبح ينظر لهم كمصدر استنزاف لموارد الأسرة لذلك فقدت في الوقت الحاضر وظيفة الإنجاب ميزتها القديمة.

أولا:مقاربة مفاهيمية:(الفعل- الإنجاب-الأسرةوالتغير الاجتماعي)

الفعل:

الفعل هو ذلك النشاط أو الحركة المقصودة التي يؤديها الفرد من خلال دور اجتماعي ،هذا النشاط أو الحركة يعتمد على وجود الآخرين ويتأثر بالأفكار والقيم التي يحملها الفاعل الاجتماعي.(الحسن، 1990: 89).

يرى عالم الاجتماع ماكس فيبر أن الفعل هو موقف اجتماعي يتحدد بمراعاة الذوات الفاعلة من جهة ووجود عنصر الدلالة من جهة أخرى ،بمعنى استخدام رمز يفهمه الآخرون عند التفاعل ،كما يجب أن يكون لأفعال الآخرين دلائل يفهمها الفرد وعن طريقها يفهم الأخير رغبات الآخرين وتوقعاتهم،ففهم السلوك عند فيبر يكون من خلال المعنى الذاتي للأفراد وعلى مستوى الجماعة، وعند تالكوتبارسونز فإن الفعل يتضمن وجود فاعل له هدف أو غاية يوجع إليها فعله عبر موقف اجتماعي يمثل ظرف الفعل أو وسطه.(نوري، 2016: 28)

كما أنه يمثل عند بارسونز نسق معقد من السلوك ويحتوي كل نسق من السلوك على الفاعل والرموز والقيم التي توجهه ومن ثم فإن الفعل الاجتماعي يشتمل على ثلاثة عوامل هي:الفاعل والموقف وموجهات الفاعل نحو الموقف.(مرسي، 2001: 7)

الإنجاب

الإنجاب في اللغة مصدر للفعل أنجب، يقال أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولداًنجيباً،والنجيب: الكريم. وأنجبت المرأة فهي منجبةومِنجاب:ولدت النجباء.

أما الإنجاب اصطلاحاً فهو حصول النّسل والذرية مطلقاًفي عملية تبدأ بالتلقيح مروراً بالحمل وانتهاء بالولادة، والولادة:وضع الحمل وهو خروج الجنين من رحم الأنثى في نهاية مدة الحمل.(الحيد، 1431: 125)

وفي قاموس علم الاجتماع فإن الإنجاب يعبر عن القدرة البيولوجية أو الفيزيولوجية الكامنة لدى النساء في سن معين ويقاس على أساس أعلى معدل لإنجاب الأطفال الممكن تسجيله عندهن في سن الإنجاب.(غيث، 1979: 185)

وبالتالي فالإنجاب هو العملية البيولوجية الناتجة عن العلاقة الجنسية بين الزوجين بهدف تزويد المجتمع بأفراد جدد لاستمرار الجنس البشري، وهو وظيفة فطرية أوجدها الله في كل الكائنات الحية وهو وسيلة لحفظ النوع واستمراره في الحياة ويرتبط عند الإنسان بالكثير من الدلالات العاطفية والنفسية والاجتماعية،وبقدر ماهو غريزة عند الكائنات الحية الأخرى فقط،فإن الإنسان يتميز فيها وهو أنه يملك نوعا من الإرادة والقدرة على التحكم بممارستها حتى لا تصبح غريزة بدون ضوابط وبما يحقق الفضل له ولمجتمعه وللبشرية من هذا الإنجاب.

الفعل الانجابي : الفعل الانجابي هو النتيجة الطبيعية للزواج من خلال الحصول على الأطفال وما يرتبط به من مفاهيم مرتبطة بالعملية الانجابية كضبط الإنجاب وتنظيم النسل ومكانة الزوجة المنجبة والعقيم وتفضيل انجاب الذكور على انجاب الاناث ...إلخ، إذن الفعل الانجابي هو سلوك ناتج عن حصيلة تفاعل بين عوامل عديدة منها التاريخية ،الاجتماعية ،الاقتصادية والثقافية وبتفاعل هذه العوامل يتحدد الفعل الانجابي .(سعيد، 1996، صفحة ص6)

الاسرة :

تعني الأسرة لغوياً الأسر أي القيد، فالأسرة هي الدرع الحصين وأهل الرجل وعشيرته والجماعة التي يربطها أمر مشترك.(خوجة، 1989: 16)

إن الأسرة هي عبارة عن نظام اجتماعي يمليه عقل المجتمع وتتحكم فيه إرادته كما أن نظامها يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات المجتمع وتقاليده وتاريخه وعرفه الخلقي ، وما يسير عليه من نظام في شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء.(الوافي، 1966: 14)

ويرى بيرجس ولوك: بأن الأسرة هي مجموعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم أو التبني يألفون بيتاً واحداً ويتفاعلون سوياً، ولكل دوره المحدد كزوج أو كزوجة : أب – أم – أخ – أخت – مكونين ثقافة مشتركة.(الجوهري، 199: 19)

ويعرفها كريستين على أنها مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة عن طريق الزواجوالولادة. (عبد الباسط، 1972: 51)

وهناك أنواع عديدة من أشكال الأسر سوف نذكر نوعين على سبيل المثال،لانتشار هذا النوعفي مجتمعنا وهما :

_ النووية: يستخدم مصطلح الأسرة النووية ليشير إلى وحدة تتكون من زوجين وأطفالهما الذين يعولونهم.(مارشال، 2007: 183)

_ الأسرة الممتدة: يشير هذا المصطلح إلى نسق أسري يعيش في نطاق أجيال متعددة في عائلة واحدة (أو وحدة معيشية واحدة).

التغير الاجتماعي : هو ذلك التغير والاختلاف في أدوار الأفراد التي يقومون بها في المجتمع من مرحلة زمنية إلى مرحلة زمنية أخرى وفي أدوار التنظيمات والنظم ،والمؤسسات داخل المجتمع وما تقوم به من أدوار تختلف ايضا من مرحلة زمنية إلى مرحلة زمنية أخرى وما يطرأ على هذه الأدوار من تغييرات من حيث الدرجة والسرعة ،وفي ضوء ذلك يمكن القول أن التغير الاجتماعي صفة أساسية من صفات المجتمع وهي صفة لا يمكن أن تخضع لأداة معينة بل هي نتيجة تيارات اجتماعية وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتداخل بعضها في بعض .(صلاح العبد، د س:40)

وحسب تعبير"جي روشي " فالتغير هو كل تحول في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن و لا يكون مؤقتا سريع الزوال يوجد لدى

فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها ، إنه ظاهرة عيانية موجودة في كل مستويات الوجود في المادة غير الحية والمادة الحية وأيضا في الحياة الاجتماعية .(الزعبي، 34:1978)

لقد عرف المجتمع الجزائري جملة من التغيراتوالتحولاتوالتي مست معظم أنساقه وهو ما أثر على على بنياته الاجتماعية وأنساقه الثقافية ،كالبناء الأسري الذي عرف هو الآخر تغيرات عديدة فلم تعد مثلا القيم التقليدية التي كانت تفضل وتحث على الاكثار من الانجاب بنفس التأثير وبنفس القوة، فالحياة العصرية فرضت نفسها على الأسرة وظهرت قيم وتقاليد جديدة تحث على إنجاب عدد أقل من الأبناء ولم يعد ينظر إلى الانجاب كمحدد لمكانة الزوجة في الأسرة وأصبح المعيار العلمي والمهني خاصة في الوسط الحضري هو الذي هذه المكانة ،فضروب السلوك وتمثلات الزوجات حول الانجاب المرتفع قد انحصرت لصالح القيم الحديثة التي تميل إلى انجاب عدد أقل من الأبناء وعدم تفضيل انجاب الذكور على الاناث.

ثانيا: الإنجاب في الاسرة التقليدية

ماهية الاسرة التقليدية

لقد كانت الأسرة الجزائرية في الماضي عائلة موسعة تُعرف بنمط الأسرة الممتدة التقليدية حيث تعيش العديد من العائلاتالزواجية تحت سقف واحد فيمكن إيجاد من 20 إلى 60 شخص وأكثر يعيشون جماعياً في نفس المسكن،ومثلت العائلة الجزائرية التقليدية الممتدة قاعدة حياة المجتمع الجزائري حيث كان يشكل هذا النموذج ميزة القسم الأكبر من العائلة الجزائرية وهي وحدة إنتاجية غير منقسمة وتماسك الأفراد داخل هذه البنية الاجتماعية نابع أساساً من رابطة الدم بالإضافة إلى وحدة الملكية التي تضمن وحدة العائلة وتلاحمها سواء أكانت أرض أو وسائل عمل جماعي أو قطيع أو غيره،والأسرة التقليدية عند مصطفى بوتفنوشت هي عائلة موسعة حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية وتحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضر والخيمة الكبرى عند البدو إذ نجد من 20 إلى 60 شخص أو أكثر يعيشون جماعيا.(بوتفنوشت، 1984: 37)

وتضم الأسرة التقليدية بنائيا ثلاثة أجيال أو أكثر فهي تضم الأبوين والأبناء غير المتزوجين والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم ويشرف على أمورهم وشؤونهم كبير العائلة،وتمتاز الأسرة التقليدية الجزائرية بالامتداد وكثرة عدد أفرادها،وهذا ما تشير إليه الإحصائيات حيث يوجد أربعون فرداً في الأسرة الواحدة نظراً لزيادة النسل وانضمام بعض ذوي القربى إلى هذه الأسرة (السويدي، 1990: 87).

وتمتاز الأسرة الممتدة بالتضامن والتلاحم حيث تلعب الدار الكبيرة التي تجمع أعضاء الأسرة دوراً هاماً في تحقيق هذا التضامن فالآباء يمنحون الأمن والحماية في وضع من التعاون الدائم.

أهمية الإنجاب في العائلة التقليدية

كان الإنجاب ولا يزال أهم الوظائف الإنسانية الذي تقوم به الأسرة ففي الماضي كان الإنجاب عبارة عن عملية بيولوجية تتم دون تخطيط حيث أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية تسهم في ضمان المستقبل سواء للكبار أو الصغار ،وكانت العوامل الثقافية لها دخل كبير في زيادة عدد الأبناء فالأمهات يفخرن بكثرة أطفالهن لأن الأطفال رمزاً للقوة وفخرا للرجل ،و هم زينة الحياة الدنيا وتحتل الزوجة المنجبة للأطفال خاصة الذكور منهم بمركز متميز في المجتمع ،كما أن الأطفال دليل على ذكورة الزوج وأنوثة الزوجة ،وكون الأطفال عناصر منتجة ولهذا فإن الإكثار منهم يعد أمراً مرغوباً واستثماراً ينعكس في المستقبل وذلك بزيادة مدخول الأسرة وتحقيق الأمن للوالدين عند الكبر.(هناء السيد، 2005: 52)

لذلك فإن الإنجاب هو الهدف الأول والأخير للزواج وهذا راجع لسبب طبيعة وسائل الإنتاج فالأرض تكاد تكون مصدر الرزق الوحيد ويحرص الإنسان على إنجاب الأبناء ليرثوا الأرض من بعده وليعملوا بها ويعينوه في شبابه ولينفقوا عليه من ثمرها في شيخوخته ،وبدون الأولاد فإن الإنسان يترك أرضه لتنتقل للآخرين وهكذا فلا معنى لوجود زوجة عاقر ،فإنجاب الزوجة للأولاد يزيد من ثقتها من أنها مصدر خير وبركة لزوجها إذ أنها تمتد بنسله وتؤكد وجوده في الحياة وتبرر سعيه وراء لقمة العيش والرزق.(عبادة، 2011: 104)

فليس غريباً أن تحزن وتخاف الزوجة كل الخوف إذا انقضت عدة شهور بعد زواجها ولم تظهر عليها علامات الحمل ،فتلجأ بعض الزوجات إلى الشعوذة والسحرة لفك عقدتها ،وتلجأ البعض إلى زيارة أضرحة الأولياء وتقديم النذور وزيارة قبور الموتى أملا في أن تتعافى من هذه المشكلة حتى تبعد عن نفسها شبهة العقم (عبادة، 2011: 104)فإذا عجزت عن الإنجاب فلا قيمة لها ولا فائدة ترجى من ورائها فأنوثتها تقدر بالإنجاب ويجب استبدالها بغيرها، أما إذا كان العاجز عن الإنجاب هو الزوج فعليها أن ترضى بنصيبها وتستكين لقدرها وترحب بالتي ستدخل ضرة عليها. (صبار، 1999: 53)

لقد اعتبرت المرأة رديفة بالأرض في ثقافة كل المجتمعات والشعوب لذلك يكون البحث عنها بحرص كبير وحذر شديد عند اختيارها لكي تكون محلاً جديراً بالزراعة فيحرث فيها الزوج ثم تخصب وتحمل وتلد وتضع أفضل الزرع.(قرامي، 2007: 35)

لذلك ارتبط الجنس بالتناسل والإنجاب في ثقافة لا ترى في الأنثى سوى مجرد آلة إنتاجية ولا تقوى على النظر إلى الجنس كفعل إنساني يرتبط بكيان الإنسان من أجل قوة النشاط الفيزيولوجي والعقلي والروحي، فالطبيعة أوجدت الرغبة الجنسية لإحداث عملية النمو والارتقاء ودفعها إلى الأمام ،والإنجاب ما هو إلا إحدى وظائف الجنس المتعددة الشاملة لكل مكونات هذا الإنسان بفعل تأثير أسطورة الاتحاد الأولي بين السماء والأرض،وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: ((أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)) (سورة الأنبياءالآية3)، وربط الإنسان منذ البداية بين خصوبة الأرض وخصوبة رحم المرأة وكلاهما ضرورة حياتية،خصوبة المرأة بالإنجاب، والإنجاب يجدد الأنوثة من أجل العمل وحفظ النوع،وخصوبة الأرض من أجل الغذاء لضمان البقاء.(صبار، 1999: 54)

يقول الله تعالى "نسائكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم" (سورة البقرة الآية 23)،وعن طرق الفعل الجنسي تتم عملية الحرث والارتواء بالحيوان المنوي لتحصل عملية الإنجاب،وعن طريق

حراثة الأرض بوضع البذرة تتم عملية الزراعة، فالحراثة قاسم مشترك بين الأرض والمرأة وسلبية هذه الأخيرة في العملية الجنسية واضحة قد تتخلص منها نسبياً بتأمين الوريث الشرعي للزوج وإلا فوضعها يفسره الحديث الشريف " لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد "، وعلى هذا النحو تنشأ الفتاة منذ صغرهامتشبعة بهذه المفاهيم التي تغرسها الأسرة ويصقلها المجتمع في ذهنها وتسيطر عليها لدرجة اقتناعها أن وظيفتها الأساسية في هذه الحياة يتحدد بالزواج والإنجاب.(صبار، 1999: 55)

أسباب الإكثار من الإنجاب و تفضيل الذكور على الإناث:

تؤثر العادات والتقاليد المتعارف عليها أو المتوارثة تأثيراً ايجابياً في الإنجاب من خلال تأثيرها على تكرار الإنجاب خاصة في المجتمعات التقليدية التي تعتبر أن الأسرة الكبيرة هي من دواعي الفخر والاعتزاز ،ففي الماضي كانت العائلة تعتبر أن إنجاب المزيد من الأطفال هو بمثابة قوة اقتصادية واجتماعية للعائلة إضافة إلى أن الأطفال يملكون عنصراً مهما في مرحلة الشيخوخة ،وهذا ما يدفع الآباء إلى إنجاب أكبر عدد من الأطفال ضماناً لهذه المرحلة من العمر،و تنظر المرأة رفقة العادات وتقاليد المجتمعات إلى الأولاد على أنهم الضمان الحقيقي لاستمرار الزواج وضآلة فرص الرجل في الزواج من امرأة أخرى أو طلاق الزوجة ذات الأولاد.(حمدي، 1997: 61)

لذلك فإن الأسر كانت تُسر وتبتهج بميلاد الذكر ويعدونه حدثاً سعيداً حيث يقيمون الوليمة ويطلقون الزغاريد إظهاراً للفرح ووجوههم يومئذ مستبشرة ضاحكة ،كما تكثر التهاني بين أفراد الأسرة لأنه بالذكور يكتسب المال ويؤخذ بالثأر ،أما ميلاد الأنثى فاعتبر مصدر استياء وغضب يقول الله تعالى في سورة النحل ((وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)). أي النهار كله مسوداً نتيجة الكآبة والحياء من الناس ومملوءاً بالغيض من المرأة التي ولدت أنثى.(قرامي، 2007: 92)

وهناك أسباب وعوامل أخرى كثيرة ومتنوعة تساهم في انتشار هذا النوع من القيم التي تحبذ الإكثار من الإنجاب وتفضيل الذكور

على الإناث، وعليه يمكننا التطرق وذكر بعض هذه الأسباب المؤدية إلى الإكثار من الإنجاب وتفضيل الذكور على الإناث في النقاط التالية:

نظرة المجتمع إلى الذكور:

إن طبيعة المجتمع الجزائري والبناء الاجتماعي للعائلة الجزائرية جعلت من الذكر السبيل الوحيد لترسيخ اسم العائلة وتعميرها والعنصر الأساسي الذي يعتمد عليه الوالدين في حماية ثرواتهم بجعل الميراث حقاً يحضى به الابن الذكر فقط ،وهي أدوار يصعب على الفتاة تأديتها إذ بعد زواجها تحمل اسماً آخر وتعمّر بيتاً آخر كما أن المجتمع لا يعترف بحقها في الميراث بحكم العادات والتقاليد بالرغم من أن الدين الإسلامي منحها ذلك الحق،و تؤثر نظرة المجتمع التي تفضل الذكور على الإناث في تكرار الإنجاب والإكثار منه ،لذلك نجد أن الكثير من الأزواج يعمدون إلى تكرار الإنجاب إذا كانت الولادة الأولى من جنس أنثى رغبة في الحصول على مولود ذكر حتى وإن مضى وقت طويل على إنجاب الكثير من البنات حتى ينجب الزوجان ذكراً ،كما تتجه بعض الأسر إلى عدم الاقتناع بطفل واحد فترغب في إنجاب أكثر من طفل ليكون عوناً لبعضهم البعض،ولكن ومن جهة أخرى فإن تفضيل إنجاب الذكور لا يعني أن الأسر لا تحبذ إنجاب أنثى لأن الأسر التي يتتابع لديها المواليد الذكور تتجه إلى تكرار الإنجاب مرة أخرى رغبة منها في إنجاب أنثى التي من شأنها أن تساعد الأم في الشؤون المنزلية.(حمدي، 1997: 63)

القوة الاقتصادية:

إن إنجاب الذكور في الأسرة هو بمثابة مصدر تأمين لكبار السن كما يساهمون في دخل الأسرة وتحمل المسؤولية ومساعدة الصغار حتى يكبروا وهم – الذكور- امتداد لاسم العائلة فكلما كثر عدد الذكور ازدادت الأسرة قوة ،وبهم تقضي الأسرة حوائجها خاصة في الأعمال الفلاحية وتعظيم دخلها من هؤلاء الأبناء لأن تكوينهم الجسدي يؤهلهم للقيام بالأعمال المختلفة التي لا تستطيع الأنثى القيام بها لطبيعة تكوينها ومحدودية قدرتها لذلك فإن مجتمعاً يكثر فيه الرجال أقدر على العمل والإنتاج من مجتمع تكثر فيه النساء، فكلما زاد عددهم خاصة الذكور زادت الإمكانيات الاقتصادية ، بالإضافة

إلى كون الأنثى لا تبقى في بيت أهلها لأنه بعد زواجها تصبح عضواً في أسرة زوجها وتساهم في استمرارية نسب زوجها وليس نسب والدها ،لذلك فإن كانت الزوجة تنجب إلا البنات فهذا يعني الاستمرار في الإنجاب حتى تأتي بالذكر.(منى، 2004: 63)

الأسرة الممتدة والإنجاب:

لقد أكدت الكثير من الدراسات أن الأسرة الممتدة لها دور في التحفيز على الإنجاب المتكرر ويكون ذلك من خلال تشجيع الزواج المبكر،وتقليص المسافة الزمنية بين الولادات بالإضافة إلى تقوية التنافس الرمزي والاقتصادي والسياسي بين الأسر،وتخفيض تكلفة الطفل نتيجة اقتسام المهام الاقتصادية والتربوية وحتى الزوجة العاملة نفسها تجد في الأسرة الممتدة من يقوم مقامها عند غيابها عن البيت،لذلك فإنها لا تعيش التناقض بين العمل والإنجاب ولا تحتاج بالتالي إلى التقليل من الإنجاب.(الهراس، 1996: 23)

الدافع الديني:

يشكل المعتقد الديني الإسلامي محركاً قوياً لسلوك المرأة اتجاه الإنجاب فهناك ما هو موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدفع باتجاه الإنجاب لعدد غير معروف من الأبناء، فالإنجاب هو الغاية من تكوين الأسرة ولقد حث الإسلام على الزواج بغرض إنجاب الذرية لأن الله خلقنا قادرين على التناسل وفي ذلك عمارة للأرض واستمرار الحياة قال الله تعالى: ((والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة))(سورة النحل،الآية7) ،وهناك الكثير من الآيات التي ترغب في الزواج من أجل إنجاب الذرية وتكثير النسل والإكثار من المسلمين لتمكين الأمة الإسلامية من النهوض بواجباتها والتعاون على ما شرعه الله بالإضافة إلى عمارة الأرض واستغلال ما تزخر به من خيرات وصيانة المجتمعات البشرية من خطر الأمراض الفتاكة والمعدية (النحيمي، 2011، 23)، وإذا كان القرآن الكريم لا يتضمن شروطاً لاختيار الزوجة غير شروط التحريم ،فإن السنة النبوية تحدد بدقة مقاييس هذا الاختيار وفي مقدمتها مقياس الخصوبة والحض على الإنجاب (الهراس، 1996، 19)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((تزوجوا الودود الولود

فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))، فالرغبة في التكاثر وحب الأولاد فطرة أساسية في نفس كل إنسان تهدف إلى إشباع غريزة الأمومة والأبوة وتعطي الإنسان قسطاً من الخلود الذي يحبه ،لذلك يصبح الإنجاب تشريف لأنه يؤدي إلى نشر الحياة و إنماء الوجود حيث يقوم الإنسان بالمشاركة في تنفيذ إرادة الله الذي تتجلى عظمته في إعطاء معنى جديد لوجوده تعالى من خلال الإنجاب وذلك بمد كثافة الحياة وبسطها ،فهو بمثابة نفاذ إلى عالم القوى المقدسة وهي عملية تنقل الوجود وتمدده.(بوحديبة، 2002: 39)

ثالثا: التغيرات التي عرفتها العائلة الجزائرية:

كانت العائلة في الماضي مؤسسة تعمل على إنجاب الأولاد وتقضي معظم أوقاتها في العمل الفلاحي أو الحرف اليدوية ،وكان الزواج المبكر والإنجاب ضرورة لاستمرارية وجود العائلة ونشاطها الاقتصادي ولكن مع مرور الوقت والتغيرات التي عرفتها المجتمعات المعاصرة تعرضت الأسرة هي كذلك لعدة تحولات وتغيرات مست عدة جوانب من حياتها فظهرت الأسرة النووية التي تشمل الزوجين والأبناء غير المتزوجين ،وتحولت الأسرة من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية وأصبحت أغلبية الأسر مستقلة في إقامتها الأمر الذي أدى إلى إعادة النظر في مفهوم القيم والمعايير التي تسير سلوكيات الأفراد وضعُف تأثير العادات والتقاليد وتآكل القوى المهيمنة للسلوكيات الاجتماعية الممارسة من قبل المجتمع فلم يعد ينظر إلى الإكثار من الإنجاب وبالتالي كثرة الأبناء بصفتهم وسيلة لزيادة موارد الأسرة بل أصبح ينظر لهم كمصدر استنزاف لموارد الأسرة لذلك فقدت وظيفة الإنجاب ميزتها القديمة،وأهم التغيرات التي لحقت بالأسرة نذكرمايلي:

تغير طبيعة دور الرجل والمرأة:

لقد أثر تغير بناء الأسرة الجزائرية على بعض وظائفها فأصبحت السلطة فيها بعد الاستقلال مرتبطة بالوضع الاقتصادي والمركز الاجتماعي والسياسي والعلمي والإداري بعد أن كانت مرتبطة بالقيم والعادات وغالباً ما تكون لكبار السن من الذكور،ففي الأسرة التقليدية كانت الأدوار مقسمة حسب الجنس فالرجال لهم مجال

يكافحون من أجل الرزق ومجال خاص بالنساء داخل المنزل ،فتغير مركز المرأة بحيث لم تعد السلطة في تسيير شؤون الأسرة مركزة في يد الرجل ،خاصة بعد خروج العمل الذي أعطاها الاستقلالية الاقتصادية التي حث عليها الإسلام قبل ذلك (السويدي، 1990: 91)، مما أدى إلى انخفاض معدلات الإنجاب فبعدما كان دورها ينحصر في الإنجاب وتربية الأبناء أصبحت اليوم تتطلع إلى آفاق مستقبلية لا تنحصر فقط في الإنجاب بل تعداها إلى التعليم والعمل ،الأمر الذي صاحبه تفتح في الأفكار وتغيير بعض المفاهيم ،وبعدما كانت المرأة تعتقد أن كثرة الإنجاب وخاصة الذكور قد يحصنها من الطلاق تيقنت مثلا أن نوعيتهم ورفاهية معيشة أسرتها هي التي تحصنها من جميع المشاكل الاجتماعية.

إن الأدوارفي الأسرة التقليدية كانت مقسمة حسب الجنس فالرجال لهم مجال يكافحون من أجل الرزق ومجال خاص بالنساء داخل المنزل ،أما اليوم فقد تبدلت الأدوار إلى حد ما وأصبح مع خروج المرأة للعمل انتشار نوع من التعاون في مختلف وجوه الحياة الأسرية.

تغير مفهوم الإنجاب:

لقد أدى انشغال الأب أو الأم بالعمل خارج البيت من جهة وشيوع وانتشار ثقافة تنظيم الأسرة ووسائل منع الحمل أدى إلى تغير مفهوم الإنجاب بحيث أصبح هذا الأخير موضوعا للاختيار الإرادي وليس للصدفة .

كما ظهرت العديد من المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالعملية الإنجابية لدى الأسر منها تنظيم النسل ،الخصوبة،ضبط الإنجاب، حجم الأسرة التخطيط الأسري،الإجهاض، تكنولوجيا الإنجاب... الخ وأكثر من هذا فإن الإنجاب نفسه كوظيفة أسرية ممكناً خارج نطاق الزواج والأسرة وظهر ما يعرف بالأم العازبة أو يمارس بواسطة التقنيات الطبية ووسائل التحكم في الإنجاب كالتلقيح الاصطناعي بواسطة أساليب التبريد وبنوك الحيوانات المنوية، والإخصاب في الأنابيب مع نقل الجنين،كما أن عدم الاستطاعة المادية

المناسبة لعدد أكبر من الأطفال أدى كذلك إلى عدم رغبة المرأة في الإكثار من الإنجاب وهذا حفاظاً على صحتها وجمالها.(مامون، 2012: 81)

تغير حجم الأسرة:

أدى تغير الظروف الاقتصادية للمجتمع الجزائري وتغير طبيعة العمل العائلي وسيطرت المؤثرات الحضرية إلى حدوث تغيرات في روتين العمل والحياة التقليدية التي كانت تسمح بامتداد الأسرة التقليدية لتشتمل على أفراد تربطهم بروابط قرابية من درجات مختلفة ومتعددة ، فأصبح من المتعذر على الجماعات القرابية الممتدة أن تعمل كوحدات متكاملة تحت ظروف العمل و العيش والإقامة في المدينة وكان من الضروري لتحقيق التكامل الاجتماعي في المجتمع الجديد أن يتلاشى بالتدريج هذا الشكل الممتد للأسرة لتحل محلها الأسرة النواة ، فبعدما كان طابع العائلة الممتد هو السائد في الماضي فقد تغير الوضع اليوم و أصبحت الأسر تميل إلى تفضيل الحجم الصغير والتقليل من عدد الأبناء الذين تنجبهم باستعمال وسائل منع الحمل وهذا يعود إلى التغير الثقافي الذي لحق بالأسرة الجزائرية حيث كانت نظرة رجال الدين إلى وسائل منع الحمل على أنها منافية لقواعد الدين لأنها تتدخل في المشيئة الإلهية.(سناء، 1984: 437)

فهناك اقتناعات عامة بضرورة تحديد حجم الأسرة مما يميل إلى الاعتقاد بأن الدعاوي التي كانت ذات قوة يوما ما مؤكدة باعتبارها ضد الدين أو لأية اعتبارات أخرى تتعلق بالعصبية أو بالحاجة إلى عد كبير من الأطفال للمعاونة في الأعمال الإنتاجية والزراعية التي تهتم بها الأسرة لم تعد لها فعالية في تحديد اتجاهات الأسر.(السيد، 202: 14)

تغير مكانة الطفل في الأسرة:

عرفت مكانة الأطفال في الأسرة الجزائرية تغيرات ملحوظة فالاهتمام بإنجاب الأولاد بدأ يقل لدى سلوك الجزائريين نتيجة تغير المجتمع الجزائري من مجتمع ريفي زراعي تقليدي يعتمد كثيراً على اليد العاملة وقليلا من الوسائل الزراعية الحديثة إلى مجتمع بصفة

غالبة يرتكز في المدن ،وحتى الزراعة أصبحت تستعمل الوسائل الحديثة وتخلصت من العدد الهائل من اليد العاملة وتحول الكثير من الفلاحين في الريف إلى عمال أجراء سواء في المصانع أو في العمل الزراعي بعدما كان أفراد الأسرة يعملون في حقل مشترك يتقاسمون غلة الأرض ،فانحصر النشاط الزراعي وتوجه الفلاحين إلى النشاط الصناعي والخدماتي مما جعل الأسرة الجزائرية تميل إلى التقليل من الإنجاب ،والطفل لم يعد كما كان في السابق يكلف في صغره ويعود بالإيراد في مرحلة شبابه بل أصبح مكلفاً في كلتا الحالتين، بالإضافة إلى إصدار وقوانين وتشريعات حرمت عمل الطفل لسن معينة ولما تتطلبه كفاءة الأداء والانجاز من إعداد وتدريب قد تطول مدته كل ذلك كانت عوامل أدت إلى إبعاد الطفل عن مسرح العمل من ناحية وقللت من قيمته الاقتصادية من ناحية أخرى لتجعله عبئاً ثقيلاً على الأسرة (السيد، 202: 14)، فأصبحت مكانة الطفل الذكر متكافئة مع الأنثى إلى حد بعيد لارتفاع مستوى الوعي عند البعض وعودة الفتاة عند كبرها بالفائدة على أسرتها من خلال مساهمتها في تحسين الدخل الأسري واهتمامها بوالديها عند كبرهما.

خاتمة:

حُضي الإنجاب المتكرر في الأسرة الجزائرية خاصة الذكور منهم بأهمية كبيرة عن إنجاب الأنثى على اعتبار أن الذكر هو امتداد للوالدين وحافظاً لميراث الأسرة فلا يتفرق الميراث بين الأقارب،فالأطفال نعمة ومصدر بركة وتفاؤل وانتماء وولاء لوالديهم وهم ذخيرة وسنداً وامتداد لحياة الآباء ،وليس شغف الآباء بالذكور تابعاً لإشباع رغبة الأمومة والأبوة وحدها وإنما كان وراءه دوافع اجتماعية واقتصادية ودينية وذلك لأن المجتمع الجزائري كان يعتمد على القطاع الزراعي في جوهره والبناء الاقتصادي للمجتمعات الزراعية يتأثر بوفرة الأيدي العاملة وعلى ذلك كلما تكاثر أفرادها تهيأت الفرص لزيادة دخلها ومن ثم كان من غير المعقول اجتماعيا واقتصاديا ودينيا التدخل في موضوع الإنجاب أما في الوقت الحاضر وبعد التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي

عرفها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال أدت إلى تحولات جذرية في بنية ووظيفة الأسرة الجزائرية من خلال انفجارها إلى أسرة نووية بانعزال الأبناء الذكور بأسرهم إلى مساكن فردية وتغير مكانة المرأة وارتفاع المستوى التعليمي لها وولوجها عالم الشغل إضافة إلى تغير الذهنية ومواقف المجتمع وعوامل أخرى أدت كلها إلى تغير النظرة نحو الإنجاب المتكرر بحيث أصبحت الأسرة اليوم تنظر نظرة مادية إلى الأمور تهدف إلى رفع مستوى المعيشة بكافة الطرق الممكنة.

وفي سبيل الوصول لهذه الأهداف أصبحت وجهة الأسر نحو الفردية البحتة وعند ذلك يتركز تفكير المرء وأهدافه في شخصه فقط، أضف إلى ذلك أن التعليم الإجباري للأطفال وإطالة مدة التعليم له الأثر البالغ في زيادة عبئ الآباء في تنشئة أطفالهم ،فالطفل أصبح اليوم أشد ارتباطا بوالده من الوجهة المادية لمدة طويلة وهي المدة التي يقضيها الطفل في التعليم والتدريب حتى يستطيع كسب معيشته ، وفي الأخير يجب الذكر بأن هذا الموضوع يحتاج لدراسات أخرى تهتم بالتنقيب والتمحيص في عوامل وأسباب جعلت نظرة الأسرة العربية عامة والجزائرية خاصة تتغير اتجاه تكرار الإنجاب وتفضيل الذكور على الإناث، على الرغم من اعتقادنا من أن هذه القيم مازالت منتشرة ومستمرة في مجتمعنا الجزائري ولكن بأقل حدة في ظل مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة و العولمة .

المراجع:

بوتفنوشت مصطفى،(1984).العائلة الجزائرية التطورات والخصائص الحديثة. ترجمة:أحمد دمري، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

بوحديبة عبد الوهاب، (2002).الإسلام والجنس. ط2،ترجمة:هالة العوري،لبنان:الريس للكتب والنشر.

الجوهري الهادي،(1998). قاموس علم الاجتماع.ط3،الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

نور الدين سمعون
Semaoune.noureddine@yahoo.com

الحسن إحسان محمد،(1990).التراث القيمي في المجتمع العربي ،بيروت: مجلة دراسات عربية ،العدد،9.

حمدي عبد العظيم،(1997). قضية السكان في مصر ورأي الدين في تنظيم النسل. مصر: سلسلة إصدارات النهضة الإدارية.

الحيد عبد الله فهد بن إبراهيم،(1431). اشتراط عدم الإنجاب في عقد النكاح. السعودية: مجلة العدل ، العدد 57.

خوجة عبد الله وفاروق عبد السلام، (1988).الأسرة العربية ودورها في الوقاية من الجريمة. الرياض: المركز الأمني للدراسات الأمنية والتدريب.

سناء الخولي،(1984).الأسرة والحياة العائلية. (ط1)،بيروت: دار النهضة العربية.

السويدي محمد، (1990). مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.

السيد عبد العاطي وآخرون، (2002).الأسرة والمجتمع.مصر:دار المعرفة الجامعية.

صبار خديجة،(1999). المرأة بين الميثولوجيا والحداثة. المغرب،إفريقيا الشرق لبنان،إفريقيا الشرق.

عبادة مديحة أحمد،(2011). علم الاجتماع العائلي المعاصرقراءات في قضايا الأسرة في عصر العولمة. ط1،القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

عبد الباسط محمد حسين، (1972). علم الاجتماع الصناعي.القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.

عبد الوافي علي، (1966). الأسرة والمجتمع .ط6، القاهرة:مكتبة النهضة.

غيث عاطف،(1979). قاموس علم الاجتماع، مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

قرامي آمال،(2007). الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية. ط1،بيروت: دار المدار الإسلامي.

مارشال جورج، (2007). موسوعة علم الاجتماع: ترجمة محمد الجوهري وآخرون. مصر: المجلس الأعلى للثقافة.

مأمون طريبة،(2012).السلوك الاجتماعي للأسرة مقاربة معاصرة لمفاهيم علم الاجتماع العائلة. ط1، بيروت: دار النهضة العربية.

مرسي محمد عبد المعبود،(2001). علم الاجتماع عند تالكوتبارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي دراسة تحليلية نقدية.ط1، ب د ن.

منى محمود عبد الله، (2004). العوامل الثقافية الاجتماعية المؤثرة في الصحة الإنجابية بحث في الأنثروبولوجيا الطبية، رسالة ماجستير، مصر ، جامعة القاهرة.

النجيمي محمد بن يحي بن حسن،(2011). الإنجاب الصناعي بين التحليل والتحريم دراسة فقهية إسلامية مقارنة. الرياض: العبيكان للنشر.

نوري عقيل محمد (2016).الفعل الاجتماعي: دراسة تحليلية من منظور إسلامي. ط1، الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.

صلاح العبد(د س) ،علم الاجتماع (دراسات نظرية وتطبيقية في تنمية وتحديث المجتمعات النامية ،الأزاريطة ،دار المعرفة المعرفة الجامعية.

الزعبي محمد أحمد(1978)،التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي ،بيروت،دار الطليعة.

الهراس مختار وإدريس بنسعيد، (1996). الثقافة والخصوبة دراسة في السلوك الإنجابي في المغرب. ط1، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.

هناء السيد محمد علي، (2005).الإعلام والأسرة الريفيةدراسة لأثر الإعلام في اتخاذ قرار الإنجاب. ط1،مصر: العربي للنشر والتوزيع.

للإحالة على هذا المقال:

- نور الدين سمعون، (2023)، « الفعل الإنجابي للأسرة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي». **المواقف**، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 83- 100.

نور الدين سمعون
Semaoune.noureddine@yahoo.com